أثر الورّاقين السلبي في الحديث النبوي

د. أحمد إدريس عودة[١]
وعبد الله عبد المعطي مقاط[٢]

الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة أثر الورّاقين في الحديث النبوي، ويهدف إلى بيان أثرهم السلبي بوجه خاص، وقد سلك الباحثان فيه المنهج الاستنباطي، وخلصا من خلاله إلى نتائج عدَّة، من أهمها: أن للورّاقين أثراً إيجابياً واضحاً في الحديث النّبوي، وفي المقابل لهم أثرٌ سلبيٌ أحياناً، ومن ذلك: التصحيف والتحريف، التخليط والبعد عن الضبط، الإدخال على الشيوخ وإفساد أحاديثهم، التحديث عن الضعفاء ورواية المناكير، الخطأ والوهم، الكذب والوضع، سرقة الأحاديث والكتب، كتمان العلم عن بعض طلابه. ومن أهم توصيات البحث: ضرورة تتبع التراث العلمي المنقول عن الورّاقين ونقده.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

فإنَّ السُّنَّة النَّبوية لها مكانة عظيمة، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي وحيٌ من الله ﷻ إلى رسوله الكريم ﷺ؛ قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤]. ولهذا كانت السُّنَّة النّبوية – ولا زالت – محلَّ عناية كبيرة من المسلمين عامة والعلماء خاصة، فإنَّهم لم يدخروا وسعاً، ولم يألوا جهداً في سبيل المحافظة عليها وحفظها من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وقد سلكوا في سبيل ذلك طرائق عدَّة، من أهمها وأشهرها: العناية بالأحاديث النَّبوية ومُصنَّفاتها نسخاً وتجليداً وتصحيحاً بالرواية والضبط، وهذا ما يُعرِّف بـ"الورَّاقة"، ويُعرِّف المشتغلون به بـ"الورّاقين".

[١] أستاذ مساعد في الحديث الشريف وعلومه، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين.
.aowda@iugaza.edu.ps
[٢] طالب دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه، بكلية أصول الدين، في الجامعة الإسلامية، بغزة – فلسطين.
abdmqat83@gmail.com

وتكوَّن هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث، أجملنا فيها أثر الورّاقين السلبي في الحديث النَّبوي بذكر نماذج، وخاتمة شملت النتائج والتوصيات.

وختاماً، نسأل الله ﷻ أن يلهمنا رُشدنا، ويعصمنا من شرِّ تحريف الكلِم، أو الوقوع في الوهم، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

التمهيد: الورّاقون والعناية بالحديث النبوي:

عُرفت "الورَّاقة" في تاريخنا الإسلامي قديماً منذ عُرفت الكتابة، وتطورت شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى مرحلة النمو والاتساع عرضاً وطولاً بعد معرفة صناعة الورق، ومازالت في تطور مستمر إلى يومنا الحاضر مع اختلاف الوسيلة بحسب العصر والمصر، ولقد اشتغل في هذه المهنة عدد كبير من الورّاقين، كانوا على أصناف عدَّة بحسب أعمالهم وتخصصاتهم، وكان لهم أثر واضح في العلوم المختلفة، وخاصة العلوم الشرعية، ومنها الحديث النَّبوي.

أولاً: تعريف "الورَّاقة" و"الورّاقين":

التعريف اللغوي: قال ابن فارس: "الواو والراء والقاف: أصلان يدل أحدهما على خير ومال، وأصله وَرَق الشَّجر، والآخر على لونٍ من الألوان"[١]. وقال ابن منظور: "والورّاق: معروف، وحرفته الورّاقة. ورجل ورَّاق: وهو الذي يورّق ويكتب"[٢].

التعريف الاصطلاحي: "الوراقة": العناية بالدَّواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط[٣].

و"الورَّاقون": جمع "ورّاق"، والورّاق: بفتح الواو وتشديد الراء وفي آخرها القاف، هذا اسم لمن يكتبُ المصاحفَ وكتبَ الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق – وهو الكاغد – ببغداد: "الورّاق" أيضاً[٤].

ولا شك أنَّ هناك تداخلاً بين لفظة ورَّاق وورَّاقة من خلال السياق والمعنى، وما تحويه مهنة الورّاقة، ولكن ما تحويه المهنة أشمل وأوسع؛ حيث يمكن تقسيم الورَّاقة على النحو الآتي:

---

[١] "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، ١٠١/٦.

[٢] "لسان العرب" لابن منظور، ٣٧٥/١٠.

[٣] يُنظر: "المقدمة" لابن خلدون، ص٤٧٠.

[٤] "الأنساب" للسمعاني، ٥٨٤/٥.

أولاً: "النسخ": ويدخل في خانته التزويق والتصوير والتذهيب والتخطيط.

وثانياً: بيع الورق وسائر أدوات الكتابة، كالأقلام والحبر وغيرها.

وثالثاً: تجليد الكتب.

ورابعاً: بيع الكتب؛ هذه المحاور الأربعة الأساسية، وتفرعاتها، هي التي تشكل مهنة الورّاقة[١].

ثانياً: عناية الورّاقين بالحديث النبوي:

إنَّ "الورّاقين" بحسب أعمالهم على أصناف أربعة: النُّسَّاخ، وباعة الورق وسائر أدوات الكتابة، والمجلدون، وباعة الكتب الدلالون[٢]. والنُّساخ هم الصنف الأسبق ظهوراً، والأكثر شهرةً، والأوسع نشاطاً، والأهم دوراً، فهم حجر الزاوية في مهنة الورّاقة، وعليهم وقع الحمل الأثقل في المسؤولية التاريخية، وإليهم يعود الفضل في وصول المخطوطات العربية – الإسلامية خالية من الأخطاء، أو التشويه.

والناظر في أحوال الورّاقين والنُّساخ خاصةً يجدهم قد واكبوا التطور الثقافي والعلمي، ومالوا في أعمالهم إلى اهتماماتهم الثقافية وتخصصاتهم العلمية، فأضفوا على مهنة الورّاقة أمراً إبداعياً، فالتخصص في ذاته ظاهرة تدل على التقدم والازدهار، وهذا أمر معلوم، حيث إن لكل واحد منا شعبة خاصة من شعب المعرفة أو الفن، توفر عليها، واستأثرت بعقله وقلبه، بل امتزجت بروحه ودمه[٣]، غير أنَّه إلى جانب هذا التخصص العلميّ أو الفنيّ لا غنى للمثقفين في الأمة عن الأخذ من كل علم من العلوم الإنسانية بطرفٍ، وبهذه الطريقة تستروح العقول البشرية من جهة، ويحدُث التوازن العقليّ والروحيّ للمواطن المثقف من جهة ثانية[٤]، وهذا بالتأكيد لا يتعارض مع احترام التخصص، فاحترام التخصص واتخاذ حرفة بعينها أو وظيفة بعينها سبب في اتقان العمل، وإحكام الصنعة[٥].

---

[١] يُنظر: "وراقو بغداد في العصر العباسي" للدكتور خير الله سعيد، ص١٨٢.

[٢] يُنظر: "خزائن الكتب القديمة في العراق" لكوركيس عواد، ص٨-٩.

[٣] "المدخل في فن التحرير الصحفي" لعبد اللطيف حمزة، ص٢٩٩.

[٤] "المدخل في فن التحرير الصحفي" لعبد اللطيف حمزة، ص٣٠٠.

[٥] "صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال" للقاضي حسين المهدي، ١٨٧/١.

ونظراً لأهمية الحديث النّبوي في الشريعة الإسلامية باعتباره العماد الثاني بعد القرآن الكريم، فقد صارت العناية به من الأولويات الثابتة عند الورّاقين، وقد تخصص بوراقة الحديث النبوي عدد كبير من المشتغلين بالورَّاقة؛ وقد ذكرنا بعضهم في ثنايا هذا البحث.

ومن الجدير ذكره أن العلماء قد توافقوا على أمورٍ يجب مراعاتها عند النسخ في تخصص معين، ومن ذلك: أنه يجب على النَّاسخ أن يكون عالماً بتخصصه، خاصةً إذا كان الأمر يتعلق بالأمور الشرعية، قال الإمام شهاب الدين النويري: "الأولى له والأشبه به – أي الورّاق الناسخ – ألا يتقدّم إلى كتابة شيء منها – أي العلوم الشرعية – إلا بعد اطّلاعه على ذلك الفنّ وقراءته وتكراره، ليسلم من الغلط والتَّحريف، والتبديل والتَّصحيف؛ ويعلم مكان الانتقال من باب إلى باب، ومن سؤال إلى جواب؛ ومن فصل إلى فصل، وأصل إلى فرع أو فرع إلى أصل؛ ومن تنبيه إلى فائدة، واستطراد لم يجر الأمر فيه على قاعده؛ ومن قول قائل، وسؤال سائل؛ ومعارضة معارض، ومناقضة مناقض؛ فيعلم آخر كلامه، ومنتهى مرامه؛ فيفصل بين كلّ كلام وكلام بفاصلة تدلّ على إنجازه، ويبرز قول الآخر بإشارة يستدلّ بها على إبرازه؛ وإلا فهو حاطب ليل لا يدرى أين يفجأه الصباح، وراكب سيل لا يعرف الغدوَّ من الرواح" [١].

ويشترط في ورّاق الحديث النبوي خاصةً أن يكون عالماً بأصول الحديث، وأسانيده، وأخباره، وتواتره، ورجاله، وعلمائه، وذلك لسببين رئيسين: الأول: يدخل في الإطار الديني، ومحرّماته، ومحلّلاته، حيث يوجب الوازع الديني الثقة بالنقل والأمانة. والثاني: المحافظة على سمعة العالم الشخصية على الصعيدين المهني والأخلاقي حيث إن مهنة الورّاقة ترتبط بهما مباشرة[٢].

ثالثًا: أثر الورَّاقين في الحديث النبوي:

لقد حافظ الورّاقون باحترامهم لتخصصاتهم على الأمانة العلمية، وكان لهم أثر إيجابي واضح في العلوم المختلفة وخاصةً العلوم الشرعية، ومنها الحديث النَّبوي.

[١] "نهاية الأرب في فنون الأدب" للمؤرخ شهاب الدين النويري، ٢١٤/٩.

[٢] "وراقو بغداد في العصر العباسي" للدكتور خير الله سعيد، ص٣٠٢

ومن أثرهم الإيجابي في الحديث النَّبوي: التوريق والإملاء، الحفظ والضبط، النسخ والنشر، المقابلة والمعارضة، الاستدراك والتصحيح، التحمل والأداء والتصنيف، تتبع الأخبار وتوثيقها، سؤالات الأئمة ونقل أحكامهم على الأحاديث والرُّواة، صيانة جهود العلماء وآثارهم العلمية، اختبار حفظ نقلة الحديث وضبطهم، وغيرها، والنماذج عليها كثيرة، ولعلنا نفرد ذلك في بحث مستقل بإذن الله ﷻ.

ولكن هذا لا يعني أن الأمانة العلمية هي ديدن جميع الورّاقين؛ بل كان لبعضهم آفات، قال الإمام السبكي: "من آفات النُّساخ يغيرون ألفاظ المُصنِّفين فيوقعون خللاً كبيراً، وكان الواجب تبقية صورة خط المُصنِّف على حالها"[١].

قال الباحثان: وهذا جانب من أثر الورّاقين السلبي في الحديث النَّبوي، والذي اجتهدنا في توثيقه من خلال المباحث الثمانية الآتية بذكر نماذج.

المبحث الأول: التَّصحيف والتَّحريف:

إنَّ معرفة التَّصحيف والتَّحريف فن مهم، قال ابن الصلاح: "معرفة المصحف من أسانيد الأحاديث ومتونها، هذا فنٌّ جليلٌ إنما يَنْهَض بأعبائه الْحُذَّاقُ مِن الحفَّاظ"[٢].

و"التَّصحيف" لغةً: الخطأ في الصَّحيفة[٣]، والتَّصحيف: أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراده كاتبه أو على غير ما اصطلحوا عليه[٤]، والتصحيف: تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الموضع، وأصله الخطأ، يقال: صحَّفه فتصحَّف أي: غيره فتغير حتى التبس[٥].

و"التَّحريف" لغةً: التغيير والتبديل، ومنه قولُه تعالَى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقَوْلُه تعالَى أَيضًا: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وهو في القرآن والكلمة: تغيير

[١] "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي، ٧٦/٦.

[٢] "علوم الحديث" لابن الصلاح، ص٣٨٣.

[٣] "لسان العرب" لابن منظور، ١٨٧/٩.

[٤] "التعريفات" للجرجاني، ص٥٩، "المغرب في ترتيب المعرب" لناصر الدين المطرزي، ص٢٦٤.

[٥] "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" لأحمد بن محمد الفيومي، ٣٣٤/١.

الحرف عن معناها، والكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه[١].

أمّا تعريف التَّصحيف والتَّحريف اصطلاحاً فهو واحد عند أكثر العلماء، وهو التغير الذي يقع في الكلمة سواءً في النقط أو الشكل، قال الدكتور محمد أبو شُهبة: "وقد كان معظم المؤلفين في المصحف في الحديث لا يفرقون بين ما إذا كان التّصحيف بتغيير النقط أو بالشكل فالكل عندهم تصحيف"[٢].

ولكن أول من فرق بينهما – في حدود علم الباحثين – هو الحافظ ابن حجر، فقال: "إن كانت المخالفةُ بتغيير حرف، أو حروفٍ، مع بقاء صورة الخطّ في السِّياق: فإن كان ذلك بالنسبة إلى النَّقْطِ فالمُصَحَّفُ. وإن كان بالنِّسبة إلى الشَّكْل فالمُحَرَّفُ"[٣].

ومما لا شك فيه أن التّصحيف والتّحريف مذمومان عند المحدِّثين، فهذا سعيد بن عبد العزيز[٤] يقول: "لا تأخذوا العلم عن صحفيٍّ ولا القرآن من مصحفيٍّ"[٥]. وهذا محمول على من تكرر منه ذلك، وإلا فإن الخطأ وارد على كل إنسان، ولم يسلم منه كبار المحدِّثين، قال الحافظ السخاوي: "قول العسكري[٦]: إنّه قد عيب بالتصحيف جماعة من العلماء، وفضح به كثير من الأدباء، وسموا الصحفية، ونهى العلماء عن الحمل عنهم؛ وهذا محمول على المتكرر منه، وإلا فما يسلم من زلة وخطأ إلا من عصمه الله، والسعيد من عدت غلطاته"[٧].

والتَّصحيفُ ينقسمُ إلى: تصحيفٍ في متنِ الحديثِ، وإلى تصحيفٍ في الإسنادِ. وينقسمُ أيضاً إلى: تصحيفِ البصرِ – وهو الأكثرُ – وإلى تصحيفِ السَّمْع...، وينقسمُ

---

[١] "تاج العروس من جواهر القاموس" للزبيدي، ١٣٥/٢٣

[٢] "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث" للدكتور محمد أبو شهبة، ص٤٧٨.

[٣] "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر" لابن حجر العسقلاني، ص٢٢٩.

[٤] سعيد بن عبد العزيز، أبو محمد، ويقال: أبو عبد العزيز التَّنُوخِيُّ، الدمشقي، الإمام، عالم أهل دمشق في عصره، ومفتيهم بعد الأوزاعي. توفي سنة ١٧٠هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٣٧٨/٤.

[٥] "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم، ٣١/٢.

[٦] "تصحيفات المُحدِّثين" للعسكري، ص٥.

[٧] "فتح المغيث" للسخاوي، ٥٨/٤.

أيضًا إلى: تصحيفِ اللَّفْظِ – وهو الأكثرُ – وإلى تصحيفِ المعنى[١]. وقد وقع بعض الورّاقين في التَّصحيف والتَّحريف خلال عملهم في الإملاء أو النسخ، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: ما قاله عبد الله بن أحمد: "سمعت أبي يقول: قدم داود بن أبي هند الكوفة، فقام مستملي أهل الكوفة ليستملي لهم، فقال: حديث سعيد بن المسيب[٢] (يكفن النبي ﷺ في خرقة)، صحف، أراد أن يقول: (الصبي) فقال: (النبي ﷺ)"[٣].

وقال السمعاني: "سمعت شيخي أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول: كنا في مجلس نِظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الوزير، فأملى: أُفٌّ للدنيا الدنية دار همٍّ وَبَلِيَّةٍ[٤]. فقال المستملي، وهو سليمان بن إبراهيم الحافظ: وَتَلِيَّةٍ[٥]، فقيل له: وَبَلِيَّةٍ، فقال: وَفَلِيَّةٍ، فقيل له: وَبَلِيَّةٍ، فقال: وَقَلِيَّةٍ، فضحك الجماعة. فقال النِّظام: اتركوه. قال: رضه[٦] حكى شيخنا هذا حين أملى (ترجو وتخشى الأمور لها التَّصاعد والحُدُور). فقال مستمليه وهو محمد بن عبد الواحد الْفَسَارَانِيُّ: أيش قلت؟، فقال الشيخ: وَالأُمُورُ، فاستفهني أنا فقلت الأُمُورُ، فسكت، فقال له أحمد بن هالة الرَّنَّانِيُّ: وَالأُمُورُ بِصوت جهورِي، فأملى المستملي وَالْقُبُورُ، فضحك الجماعة"[٧].

وقال العسكري: "وأخبرنا أبو بكر محمد بن عَبدان، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: كان بواسط ورّاق ينظر في الأدب والشعر ولا يعرف شيئاً من الحديث، وكان لعمرو بن عون الواسطي ورَّاق مستملٍ يلحن كثيراً، فقال :أخروه".

---

[١] "شرح التبصرة والتذكرة" لزين الدين العراقي، ١٠٢/٢.

[٢] يقصد الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"، ٤٦٦/٢، برقم ١١٠٩٦، وقال: حدثنا أبو معاوية، عن داود، عن سعيد بن المُسيِّب، قال: "يُكَفَّنُ الصَّبِيُّ فِي خِرْقَةٍ".

[٣] "العلل ومعرفة الرجال" لأحمد بن حنبل، رواية ابنه عبد الله، ١٣٤/٣.

[٤] الْبَلِيَّةُ والبلوى والبلاء واحد، والجمع البلايا. "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص٤٠.

[٥] التَّلِيَّة: وَهِي البَقيّة من الشَّيْء. "تهذيب اللغة" للأزهري، ٢٢٧/١٥.

[٦] رضه: اختصار من رضي الله عنه.

[٧] "أدب الإملاء والاستملاء" للسمعاني، ص٩٣.

وتقدَّم إلى الورَّاق الذي كان ينظر في الأدب أن يقرأ عليه، فبدأ فقال: "حدثكم هُشَيْمٌ، فقال: هُشَيْمٌ، ويحك، فقال: عن حُصَيْنٍ، فقال: عن حُصَيْنٍ ويلك، ثم قال عمرو بن عون: ردُّوا إليَّ الورَّاق الأول، فإنه وإن كان يلحن فليس يمسخ"[١].

وقال يحيى بن بكير[٢]: "أبطأ علينا حبيب[٣] ورَّاق مالك يوماً، فقال لنا مالك؟: يقرأ بعضكم لكم. فقلنا لعبد الملك بن مَسْلَمَة[٤]: اقرأ لنا، فجعل يقرأ، فكلما مر بابن شهاب – الزهري –، قال: حدَّثك شهاب، ففعل ذلك مراراً حتى ضجر مالك من كثرة ما يُرد عليه، حتى همَّ أن لا يحدثنا شيئاً.

وكنا نحضر ويغيب عبد الملك، فإذا انصرفنا أخذنا ألواحه فكتبنا فيها بعض ما سمعنا من مالك، فنقول له: اقرأ ألواحك، فيقرأ ويقول: حدثنا مالك فنضحك به، ونقول: نحن كتبناها، فيقول: هي ألواحي وأنا كتبتها وسمعتها، فيعجب أصحابنا من شدة غفلته.

وقرأ لنا يوماً على مالك في كتاب النُّذور، فقرأ: فقربت إليه جزء قنى مسكوراً، فضحك مالك، وقال: جرو قثاء[٥] مكسوراً. عافاك الله!"[٦].

المبحث الثاني: التخليط والبعد عن الضبط:

إنَّ "التخليط" و"البعد عن الضبط" يفسد الروايات ويؤدي إلى ردّها وعدم قبولها. و"التَّخْلِيطُ" في الأمر: الإفسادُ فيه[٧]. والتخليط غير الاختلاط بأخرة: التخليط اختلال

---

[١] "تصحيفات المحدثين" للعسكري، ٦٥/١، ويُنظر: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي ٢٨٥/١، و"أدب الإملاء والاستملاء" للسمعاني، ص٩٥.

[٢] هو يحيى بن بكير هو يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي مولاهم المصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة في الليث، وتكلّموا في سماعه من مالك، مات سنة ٢٣١هـ. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٥٩٢.

[٣] حبيب أبي حبيب المصري، كاتب مالك، يكنى أبا محمد، واسم أبيه: إبراهيم، وقيل: مرزوق، متروك كذبه أبو داود وجماعة، مات سنة ٢١٨هـ. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص١٥٠.

[٤] عبد الملك بن مَسْلَمَة بن يزيد، أبو مروان المِصْرِيُّ الفقيه، مولى بني أُمَيّة. توفي سنة ٢٣٠هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٦٢٥/٥.

[٥] قوله: جرو قثاء: بكسر الجيم قيل هو صغارها وقيل الطويل منها وقيل هو الواحد منها. "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" لعياض بن موسى اليحصبي ١٤٥/١. والقِثّاءُ: الخيار، الواحدة قِثّاءَةٌ، وأرض مَقْثاةٌ. "العين" للفراهيدي، ٢٠٣/٥.

[٦] "الأنساب" للسمعاني، ١٤٣/٥.

[٧] "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص٩٤.

عارض في الضبط يقع في حال الصحة لا الخرف[١]. ومنه: قول عبد الرحمن بن أبي حاتم: "سمعت أبي يقول: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، ثم قال: كتبنا عنه وأمره مستقيم، ثم خلط بعد، ثم جاءني خبره أنَّه رجع عن التخليط، قال: وسئل أبي عنه بعد ذلك، فقال: كان صدوقاً"[٢].

أمّا "البعد عن الضبط" – أي البعد عن الضبط في الرواية بمعناه الاصطلاحي – فهو أن يكون الراوي متيقظاً حافظاً غير مغفل ولا ساه، ولا شاك في حالتي التحمُّل والأداء[٣].

وقد وقع عدد من الورّاقين في التخليط والبعد عن الضبط، منهم: كَيْسان[٤] مستملي أبي عبيدة[٥]، قال أحمد بن روح: "قال أبو عبيدة لكيسان مستمليه: كيسان يسمع غير ما أقول ويقول غير ما يسمع، ويكتب غير ما يقول ويقرأ غير ما يكتب ويحفظ غير ما يقرأ"[٦]، وقال محمد بن سَلام الْجُمَحِيِّ: "أبو عبيدة: ويكتب في الألواح غير ما وعى، ثم ينقله من الألواح إلى الدفتر غير ما كتب، ثم يقرأ من الدفتر غير ما فيه"[٧]. وقال الصفدي: "كيسَان مستملي أبي عبيدة، قال الجاحظ: كان يكتب غير ما يسمع، ويقرأ غير ما يكتب، أمليت عليه يوماً: عجبت لمعشرٍ عدلوا... بمعتمرٍ أَبَا عَمْرو، فكتبه أبو بشر، واستفتى فيه[٨] أبا زيد وقرأه أبا حَفْص"[٩]. وقال أيضاً: "وسألهُ أبو عبيدة عن رجل من شعراء العرب ما اسمه؟،

---

[١] "تحرير علوم الحديث" لعبد الله الجديع، ٤٥٤/١.

[٢] "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي، ٦٠/٢.

[٣] "الديباج المذهب في مصطلح الحديث" للجرجاني، ص٤٩.

[٤] هو أبو سليمان كيسان بن معرّف بن دهثم. "طبقات النحويين واللغويين" للزبيدي، ص١٧٨.

[٥] هو أبو عبيدة مَعْمر بن المثنَّى التَّيْمِيُّ، تَيْم قُريش مولًى لهم. وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها. وأكثر الناس رواية، وكان يقال: إنه خَارِجِيٌّ. ومات سنة ٢٠٩هـ. "طبقات النحويين واللغويين" للزبيدي، ص١٧٥.

[٦] "أدب الإملاء والاستملاء" للسمعاني، ص٩٢.

[٧] "أدب الإملاء والاستملاء" للسمعاني، ص٩٢.

[٨] قال أبو إسحاق الحصري: فكتب أبا بشر، وقرأ أبا حفص، واستملى أبا زيد، وأملى أبا نصر. "جمع الجواهر في الملح والنوادر" لإبراهيم بن علي الأنصاري، ص١٣٨. وقال عبد السلام هارون: "ينقل عن ذلك غير ما كتبه في أول الأمر، ثم يحفظ غير ما كتب، ثم يُحدِّث غير ما حفظ". "تحقيق النصوص ونشرها" لعبد السلام هارون، ص٦٣.

[٩] "الوافي بالوفيات" للصفدي، ٢٨٧/٢٤.

فقال: خِدَاش أَو خرَاش أَو رياش أَو خماش أَو شَيْء آخر، وأظنه قرشياً، فقال له أبو عبيدة: من أين علمت أَنه قرشي؟، قال: رأيت اكتناف الشينات[١] عليه من كل جانب"[٢].

ومنهم: محمد بن عمراه بن موسى بن عبيد الله، أبو عبيد الله الكاتب المعروف بالمرزباني. كان صاحب أخبار ورواية للآداب، وصنف كتباً كثيرةً مستحسنةً في فنون، وكان أشياخه يحضرون عنده في داره فيسمعهم ويسمع منهم، وكان عنده خمسون ما بين لحاف ودواج[٣]، معدّة لأهل العلم الذين يبيتون عنده، وكان عضد الدولة[٤] يجتاز على داره فيقف ببابه حتى يخرج إليه فيسلِّم عليه، وكانت آفته ثلاثاً: الميل إلى التشيع، وإلى الاعتزال، وتخليط المسموع بالإجازة، وإلا فليس بداخل في الكذابين[٥].

ومنهم: محمد بن أحمد بن إبراهيم الورّاق، يُعرف بابن الفرانق، من أهل قرطبة؛ يكنى أبا عبد الله...، كتب بخطه علماً كثيراً، ولم يكن بالضابط لما نقله وقيد[٦].

وقد أرشدنا أهل العلم إلى طريقة التعامل مع أحاديث هذا الصنف من الرُّواة، فقال الإمام ابن قيِّم الجوزية: "ولا عيب على مسلمٍ في إخراج حديثه، لأنه ينتقي من أحاديث هذا الضرب ما يعلم أنه حفظه، كما يطّرح من أحاديث الثِّقة ما يعلم أنه غلط فيه، فغلط في هذا المقام من استدرك عليه إخراج جميع حديث الثِّقة، ومن ضعّف جميع حديث سيِّء الحفظ. فالأولى طريقة الحاكم وأمثاله، والثانية طريقة أبي محمد ابن حزمٍ وأشكاله، وطريقة مسلم هي طريقة أئمة هذا الشَّأن، والله المستعان"[٧].

---

[١] الشينات: جمع لحرف الشين، والشينات كلهَا فِي كَلَامهم قبل اللامات. يُنظر: "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده، ١٦٧/٦.

[٢] "الوافي بالوفيات" للصفدي، ٢٨٧/٢٤.

[٣] الدُّوَّاجُ: ضرب من الثياب. "لسان العرب" لابن منظور، ٢٧٧/٢. وقال الصغاني: الدُّوّاجُ، والدُّوَاجُ: الذي يلبس. "الشوارد" للصغاني، ص٥٢.

[٤] فَنَاخِسْرُو، السّلطان عضُدُ الدولة، أبو شجاع ابن السلطان رُكْن الدولة الحسن بن بُويه الدَّيْلَمِي. توفي سنة ٣٧٢هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٣٧٦/٨.

[٥] "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي، ٣٧٢/١٤.

[٦] "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس" لابن بشكوال، ص١٧٣.

[٧] "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم، ٣٥٣/١.

المبحث الثالث: الإدخال على الشيوخ وإفساد أحاديثهم:

"الإدخال" لغة: من دَخَل: الدال والخاء واللام أصلٌ مطرد منقاس، وهو الوُلوج[١]. والدُّخُول نقيض الخروج، دخل، يدخل، دخولاً، وتدخَّل، ودخل به[٢].

والإدخال على الشيوخ عند المحدِّثين علّة قريبة من علة التلقين، ويختلف عنه في كون التلقين بعلم الملقن، وأما الإدخال فيكون بغير علم الراوي الذي أدخل عليه الحديث – غالباً – كما أن التلقين يكون مشافهةً، وأما الإدخال فيكون في الكتاب، وربما كان الأمر قريباً بعضه من بعض بحيث يلتبس هل هو تلقين أو إدخال...[٣].

وتختلف مواقف الرُّواة الذين أدخل عليهم، من الأحاديث التي أدخلت عليهم، وممن أدخلها؛ فبعضهم يرجع عن تلك الأحاديث، ويتركها، ويغضب على من فعل ذلك، فهؤلاء لا يؤثر فيهم ذلك الفعل. ويضعف بعضهم عن ذلك، فيسقط حديثهم[٤].

و"الإدخال" حدث مع طائفة من الشيوخ بفعل وراقيهم أو غيرهم، وفسدت بذلك أحاديثهم وطُعن فيها، فهذا عبد الله بن صالح كاتب الليث المصري[٥]، قال ابن حبان: "منكر الحديث جداً، يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات، وعنده المناكير الكثيرة عن أقوام مشاهير أئمة، وكان في نفسه صدوقاً، يكتب لليث بن سعد الحساب[٦]، وكان كاتبه على الغَلاَّت[٧]؛ وإنّما وقع المناكير في حديثه من قبل جارٍ له رجل سوء، سمعت ابن خزيمة[٨] يقول: كان له جار بينه وبينه عداوة، فكان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن

---

[١] "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس٢،/٣٣٥.

[٢] "لسان العرب" لابن منظور، ٢٣٩/١١.

[٣] "مقدمة علل الحديث" لابن أبي حاتم، ١٢٦/١.

[٤] المصدر السابق، ١٢٩/١.

[٥] هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، ثقة ثبت فقيه، إمام مشهور، السابعة مات في شعبان سنة ١٧٥هـ. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٤٦٤.

[٦] الحِسابُ والحِسابةُ: عَدُّك الشيءَ، تَقول: حسبت الشَّيء أحسبه حساباً وحسابةً وحسْبَةً. "تهذيب اللغة" للأزهري، ١٩٣/٤.

[٧] الغلات جمع غلة، والغلة: الدَّخل الذي يحصل من الزرع والثمر واللبن والإجارة والنتاج ونحو ذلك. وفلان يُغِلُّ على عياله، أي يأتيهم بالغَلَّة. يُنظر: "لسان العرب" لابن منظور، ٥٠٤/١١.

[٨] محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السُّلَميُّ النيسابوريُّ. إمام الأئمة أبو بكر الحافظ. توفي سنة ٣١١هـ. "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٢٤٣/٧.

صالح، ويكتب في قرطاس بخط يشبه خط عبد الله بن صالح، ويطرح في داره في وسط كتبه، فيجده عبد الله فيحدث به، فيتوهَّم أنه خطه وسماعه، فمن ناحيته وقع المناكير في أخباره"[١].

وسفيان بن وكيع ابتلي بورّاق له أدخل في كتبه أحاديث مناكير، ونصحه أبو حاتم الرّازي وابن خزيمة، وبيَّن له أبو حاتم كيف يميِّز ما أدخل عليه، فلم يأخذ بنصحه، فسقطت رواياته[٢]. قال ابن أبي حاتم: "سمعت أبي يقول: جاءني جماعة من مشيخة الكوفة فقالوا: بلغنا أنك تختلف إلى مشايخ الكوفة تكتب عنهم، وتركت سفيان بن وكيع، أما كنت ترعى له في أبيه؟، فقلت لهم: إني أوجب له وأحب أن تجرى أموره على الستر، وله وراق[٣] قد أفسد حديثه. قالوا: فنحن نقول له أن يبعد الورّاق عن نفسه فوعدتهم أن أجيئه، فأتيته مع جماعة من أهل الحديث، وقلت له: إن حقك واجب علينا في شيخك وفى نفسك، فلو صنت نفسك وكنت تقتصر على كتب أبيك لكانت الرحلة إليك في ذلك، فكيف وقد سمعت؟، قال: ما الذي ينقم عليّ؟، فقلت: قد أدخل وراقك في حديثك ما ليس من حديثك. فقال: فكيف السبيل في ذلك؟، قلت: ترمي بالمخرجات وتقتصر على الأصول، ولا تقرأ إلا من أصولك، وتنحي هذا الورّاق عن نفسك، وتدعو بابن كرامة وتوليه أصولك، فإنه يوثق به. فقال: مقبول منك. وبلغني أن وراقه كان قد ادخلوه بيتاً يتسع علينا، فما فعل شيئاً مما قاله، فبطل الشيخ، وكان يحدث بتلك الأحاديث التي قد أدخلت بين حديثه، وقد سرق من حديث المحدثين"[٤].

---

[١] "كتاب المجروحين" لابن حبان، ٢/٤٠.

[٢] يُنظر: "مقدمة علل الحديث" لابن أبي حاتم، ١/١٣٥.

[٣] قال ابن حجر: "قرطة وراق سفيان بن وكيع كان يدخل عليه الأحاديث الباطلة، فيحدث بها سفيان فينبهونه فلا يرجع، فلأجل هذا تركوا حديثه، وقرطمة سماه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات. ثم رأيت في مقدمة الضعفاء لأبي حاتم بن حبان في النوع الرابع عشر قال: ومنهم سفيان بن وكيع كان له وراق يقال له: قرمطة، يدخل عليه الحديث. ثم عرفت أن قرطمة أو قرملة لقب واسمه محمد بن عبيد الله. "لسان الميزان" لابن حجر العسقلاني، ٤/٤٧٣. محمد بن عبيد الله الورّاق وراق سفيان ابن وكيع. "لسان الميزان" لابن حجر العسقلاني، ٥/٢٧٦، يُنظر: "نزهة الألباب في الألقاب" لابن حجر العسقلاني ٢/٨٩.

[٤] "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي، ٤/٢٣١-٢٣٢.

المبحث الرابع: التحديث عن الضعفاء ورواية المناكير:

إنَّ التحديث عن الضعفاء، والانشغال بالكتابة عنهم آفة قديمة حذر منها أهلم العلم، فهذا الإمام عبد الرحمن بن مهدي يقول: "لا ينبغي للرجل أن يشغل نفسه بكتابة أحاديث الضعاف، فإن أقل ما فيه أن يفوته بقدر ما كتب من حديث أهل الضعف يفوته من حديث الثقات"[١]. وقد أشغل بعض الورّاقين أنفسهم بذلك، فرووا المناكير، قال الإمام مسلم: "وعلامة المنكر في حديث المحدِّث إذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا خالفت روايته روايتهم، أو لم تكد توافقها، فإذا كان الأغلب من حديثه كذلك كان مهجور الحديث غير مقبولة ولا مستعملة"[٢].

وممن عُرف بالتحديث عن الضعفاء ورواية المناكير من الورّاقين: إسماعيل بن أبان الورّاق، قال ابن الجنيد: "سألت يحيى – ابن معين – عن إسماعيل بن أبان الورّاق[٣]، فقال: "ليس به بأس، كان صديقاً لي، ما كتبت عنه شيئاً قط، وكان يحدِّث عن شيوخ ضعفاء"[٤].

ويوسف بن عطية الباهلي، ويقال: الْقَسْمَلِيِّ[٥]، أبو المنذر الكوفي الورّاق، قال عمرو بن علي الفَلاَّس: "ويوسف بن عطية الكوفي أكذب من البَصْرِيّ[٦]، قدم علينا فنَزل الْمِرْبَد[٧]، وحدث بأحاديث منكرة، عن قوم معروفين[٨]، وقال أبو حاتم[٩]، والدارقطني[١٠]: ضعيف، وقال ابن عدي: وأحاديثه غير محفوظة"[١١].

---

[١] "الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي، ص١٣٣.

[٢] "مقدمة صحيح مسلم" للإمام مسلم، ص٧.

[٣] إسماعيل بن أبان الورّاق الأزدي، أبو إسحاق، أو أبو إبراهيم، كوفي ثقة، تكلّم فيه للتشيع، مات سنة ٢١٦هـ. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص١٠٥.

[٤] "سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين" لابن الجنيد، ص٤٣١.

[٥] القَسمَلي: بفتح القاف وسكون السين المهملة وفتح الميم بعدها لام، هذه النسبة إلى القساملة – بفتح القاف وكسر الميم، وهي قبيلة من الأزد نزلت البصرة فنسبت الخطة والمحلة إليهم. "الأنساب" للسمعاني، ٤٢٠/١٠.

[٦] يوسف بن عطية بن ثابت الصفار البصري أبو سهل، متروك. "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٦١١.

[٧] المربد: وهو موضع بالبصرة، وبنيت به محلة كبيرة، وأظن أن حرب الجمل بين علي وعائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم أجمعين كان بها. "الأنساب" للسمعاني، ١٨٠/١٢.

[٨] هو الإمام عمرو بن علي بن بحر بن كنيز، أبو حفص الفلاس.

[٩] يُنظر: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي، ٢٢٧/٩.

[١٠] يُنظر: "سؤالات البرقاني للدارقطني" للبرقاني، ص٧٣.

[١١] "الكامل في ضعفاء الرجال" لابن عدي، ٤٨٣/٨.

ومطر الورّاق[١]، قال أحمد بن حنبل: "كان يحيى بن سعيد القطان يضعِّف حديث مطر عن عطاء – ابْن أَبي رباح –"[٢]. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: "أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إليَّ، قال: سألت أبي عن مطر الورّاق فقال: كان يحيى بن سعيد – القطان – يشبه مطر الورّاق بابن أبي ليلى[٣] في سوء الحفظ. قال عبد الله: فسألت أبي عنه فقال: ما أقربه من ابن أبي ليلى في عطاء خاصةً، وقال: مطر في عطاء ضعيف الحديث، قال عبد الله: قلت: ليحيى بن معين: مطر الورّاق؟، فقال: ضعيف في حديث عطاء بن أبي رباح"[٤].

المبحث الخامس: الخطأ والوهم في الأحاديث:

معلوم أن الخطأ والوهم من العلل في الأحاديث التي لم يسلم منها أحد من الرُّواة حتى الثقات، قال الدكتور همام سعيد: "ميدان هذا العلم – أي علم العلل – حديثُ الثِّقات، وغايته كشفُ ما يعتري هؤلاء الثِّقات من الخطأ والوهم"[٥].

وممن عُرِّف بالخطأ والوهم في الأحاديث من الورّاقين: نصر بن حماد بن عجلان البجلي، أبو الحارث الورّاق البصري. قال ابن حبان: "كان من الحفاظ، ولكنه كان يخطئ كثيراً، ويهم في الأسانيد حتى يأتي بالأشياء كأنّها مقلوبة، فلمّا كثر ذلك منه بطل الاحتجاج به إذا انفرد"[٦].

وأبو الحسن بن بقاء الورّاق، قال المزي: "وجدت في مسند علي للنّسائي: حَدَّثَنَا عن إسحاق بن إبراهيم عن عبيد الله بن سعيد الأُمَوِي، عن سفيان – الثوري –، عن عمرو بن قَيْس، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن علي: أول من يكسى يوم

---

[١] مطر بن طهمان الورَّاق، أبو رجاء الخرساني، مولى علباء السلمي، سكن البصرة، وكان يكتب المصاحف، توفي سنة ١٢٩هـ. يُنظر: "تهذيب الكمال" للمزي، ٢٨/٥١-٥٤.

[٢] "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي، ٨/٢٨٧.

[٣] محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصارِيّ، أبو عبد الرحمن الكوفي الفقيه قاضي الكوفة. "تهذيب الكمال" للمزي ٢٥/٦٢٢.

[٤] "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي، ٨/٢٨٧-٢٨٨.

[٥] كلام المحقق: د. همام سعيد. "شرح علل الترمذي" لابن رجب الحنبلي، ١/٢٥-٢٦.

[٦] "كتاب المجروحين" لابن حبان، ٣/٥٤.

القِيَامة إبراهيم... الحديث[١]. هكذا وجدته بخط أبي الحسن بن بقاء الورّاق، وهو وهم أيضاً، والصواب: عُبَيد بن سَعِيد[٢]، وقد رُوِيَ عن إسحاق بن إبراهيم[٣] عنه، عن سفيان – الثوري – غير هذا الحديث على الصواب"[٤].

المبحث السادس: الكذب والوضع في الحديث:

إنَّ "الكذب" و"الوضع" ليس بينهما فرق عند المحدِّثين. والوضع لغةً: من وضع، بمعنى الإلصاق، أو الخَفْض والإسقاط والحط، والأول أليق[٥]. قال ابن فارس: "الواو والضاد والعين: أصلٌ واحد يدلُّ على الخَفْض للشيء وحَطِّه"[٦]. وقال ابن دِحْيَة: "الموضوع: هو ما وضع على رسول الله ﷺ – أي أُلْصِقَ به – ولم يقُلْه، يقال: وضَع فلانٌ على فلانٍ عاراً إذا ألصقه به، والوضع أيضاً الحطُّ والإسقاط"[٧]. قال ابن حجر معقباً: "والأول أليق بهذه الحيثية، والله أعلم"[٨].

والحديث الموضوع اصطلاحاً: هو الكذب المختلق المصنوع على النبي ﷺ[٩].

وهو شرُّ الأحاديث الضعيفة، ولا تحل روايته لأحدٍ عَلِمَ حالَه في أيِّ معنىً كان إلا مقروناً ببيان وضعه[١٠]، وقد وُضع الحديث لأغراض مختلفة.

---

[١] قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس هو الأصم، ثنا العباس الدوري، ثنا أبو عاصم النَّبيل، عن سفيان، عن عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم قُبطيَّتين"، والنبي حُلَّة حِبرة، وهو عن يمين العرش. "الأسماء والصفات" للبيهقي، ٢٧٨/٢، برقم ٨٤٠.

[٢] عبيد، ويقال: عبيد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي، ثقة، مات سنة ٢٠٠هـ. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٣٧٧.

[٣] إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي المروزي، سمع ابن عيينة ووكيعًا، سمع منه يحيى بن آدم، مات سنة ٢٣٨هـ. يُنظر: "التاريخ الكبير" للبخاري، ٣٧٩/١.

[٤] تهذيب الكمال للمزي، ٥٣/١٩.

٥ يُنظر: "النكت على كتاب ابن الصلاح" لابن حجر، ٨٣٨/٢.

٦ "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، ١١٧/٦.

٧ "أداء ما وجب من بيان وضع الوضَّاعين في رجب" لابن دحية الكلبي، ص١٤٨-١٤٩.

٨ "النكت على كتاب ابن الصلاح" لابن حجر، ٨٣٨/٢.

٩ يُنظر: "تدريب الراوي" للسيوطي، ١٤٨/١.

١٠ "علوم الحديث" لابن الصلاح، ص٩٨.

وممن عُرف بالوضع والكذب من الورّاقين: علي بن يعقوب الورّاق، قال ابن الجوزي: "علي بن يعقوب بن سويد الرباب الورّاق المصري. روى عنه: الحسن بن رَشِيق، قال أبو الوليد القاضي[١]: كان علي يضع الحديث"[٢].

وبقاء بن أبي شاكر، الذي كان له كتابات عن الشيوخ وزوّر فيها، قال الذهبي: "بقاء بن أبي شاكر بن بقاء، أبو محمد الحريميّ، ويعرف بابن العُلّيق، قال ابن نُقْطة[٣]: دَجّال؛ زوَّر ألف طبقة على عبد الوهَّاب الأنماطيّ[٤]، وابن خيرون[٥]، وكشط أسماءً، وألحق اسمَه. وكان يظهر الزُّهد، فدخلتُ عليه وأنا صبيٌّ مع أصحاب أبي، فأخرج مُشْطاً، وقال: هذا مشط فاطمة – عليها السّلامُ –، وهذه محبرةُ أَحْمَد بْن حنبل. ولم يزل على كذبه حتّى أراحَ اللهُ منه في آخر السنة بطريق مكّة. وقال ابن النّجّار[٦]: كان سيّئَ الحال في صباه، تزهّد وصَحِبَ الفقراء وانقطع، ونَفَق سوقه، وزاره الكبار، وأقبلت عليه الدّنيا، وبنى رِباطاً[٧]، وكثُر أتباعه. وَقَع بإجازات فيها قاضي المارستان[٨] وطبقته، فكَشَط فيها وأثبت في الكشط اسمه، ورماها في زيتٍ فاختفى الكشط، وبعث بها إلى ابن الجوزيّ – أبو الفرج – وعبد

[١] عبد اللّه بن محمد بن يوسف بن نصر، الحافظ أبو الوليد ابن الفَرَضيّ القُرطبي، توفي سنة ٤٠٣هـ. "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٥٩/٩.

[٢] يُنظر: "كتاب الضعفاء والمتروكين" لابن الجوزي، ٢٠١/٢.

[٣] يُنظر: "إكمال الإكمال" لابن نقطة، ١٩٤/٤.

[٤] عبد الوهّاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن بن بُنْدار، الحافظ، أبو البركات الأنْماطيّ، توفي سنة ٥٣٨هـ. مفيد بغداد. "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٦٨٥/١١.

[٥] محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خَيْرُون بن إبراهيم، الشَيخ أبو منصور البغداديّ، المقرئ، الدّبّاس، شيخ مُعَمَّر، ثقة، إمام صالح، بارع في القراءات، صنَّف فيها كتاب المفتاح وغيره، وتصدَّر للإقراء، وطال عمره، توفي سنة ٥٣٩هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٧١٧/١١.

[٦] محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، الحافظ الكبير مُحِبّ الدّين، أبو عَبْد اللّه ابن النجار البغدادي، صاحب كتاب التاريخ، توفي سنة ٦٤٣هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٤٧٨/١٤.

[٧] الرِّباطُ: واحدُ الرِّباطات المبنيّة. "لسان العرب" لابن منظور، ٣٠٣/٧.

[٨] محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله، ابن صاحب رسول الله ﷺ وشاعره، وأحد الثّلاثة الّذين خُلِّفُوا كعب بن مالك الأنصاريّ، القاضي أبو بكر بن أبي طاهر، البغداديّ، الحنبليّ، البزّاز، ويُعرف أبوه بصهر هبة، ويعرف هو بقاضي المارستان. توفي سنة ٥٣٥هـ. "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٦٣٩/١١. والْمَارِسْتَان: بفتح الميم وكسر الراء وسكون السين المهملة وفتح التاء ثالث الحروف وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى المارستان، وهو موضع ببغداد يجتمع فيه المرضى والمجانين، وهو (بيمارستان) يعني موضع المرضى. "الأنساب" للسمعاني، ١٩/١٢.

الرّزّاق – ابن همام –، فنقلاها له ولم يَفْهما، ثم أخفى أصلَ ذلك، وأظهر النّقل فسمع بها الطّلبة اعتماداً عليهما. وقد ألحق اسمَه في أكثر من ألفِ جزء. بيعت كتبُه فاشتريتُها كلَّها، فلقد رأيتُ مِن تزويره ما لم يبلغه كَذَّاب، فلا تَحِلّ الرواية عنه. ثم طَوَّل ابنُ النّجّار ترجمتَه وهتكه"[١].

وأحمد بن محمد بن أيّوب البغدادي، صاحب المغازي، أبو جعفر الورّاق، قال الذهبي: "كان ناسخاً للفضل بن يحيى البرمكيّ...، قلت: روى إبراهيمُ بن الْجُنَيْدِ، عن ابن مَعِين قال[٢]: هو كذّاب لم يسمع من إبراهيم. وقال يعقوب بن شبية: ليس هو من أصحاب الحديث، ولا يعرفه أحد بالطَّلب، وإنما كان ورّاقاً، فذكر أنّه نسخ كتاب المغازي لبعض البرامكة[٣]، فأمره أن يأتي إبراهيمَ بن سَعْد يصحّحها، فزعم أنّ إبراهيم قرأها عليه وصحّحها"[٤].

قال الباحثان: ولكن هؤلاء وغيرهم من الكذابين والوضّاعين لم يحققوا مآربهم، فقد سخر الله ﷻ نقاداً تتبعوهم وتتبعوا أحاديثهم، وكانوا لهم بالمرصاد، وكما قال عبد الله بن المبارك عندما ذكرت له الأحاديث المصنوعة: "يعيش لها الجهابذة"[٥].

المبحث السابع: سرقة الأحاديث والكتب:

إنَّ "السرقة" لغةً: من سرق، قال ابن فارس: "السين والراء والقاف، أصلٌ يدلُّ على أخذ شيء في خفاء وستر. يقال: سرق يسرق سرقة. والمسروق سرق. واسترق السَّمع، إذا تسمَّع"[٦].

---

[١] "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٣٣/١٣.

[٢] يُنظر: "سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين" لابن الجنيد، ص٤٤٤.

[٣] البَرْمَكي: بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء وفتح الميم وفي آخرها الكاف، هذه النسبة الى اسم وموضع، أما المنتسب إلى الاسم فجماعة من أولاد ابى على يحيى بن خالد بن برمك، وفيهم كثرة، وأما الموضع فلأنهم كانوا يسكنون قديمًا ببغداد في محلة تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية يقال لها البرمكية فنسبوا إليها يُنظر: "الأنساب" للسمعاني، ١٨١/٢-١٨٠.

[٤] "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٥١٣/٥.

[٥] "الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي، ١٤٨/١.

[٦] "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس،١٥٤/٣.

و"سرقة الأحاديث" اصطلاحاً: قال الذهبي: "أن يسرق حديثاً ما سمعه، فيدَّعي سماعه من رجل. وإن سرق، فأتى بإسنادٍ ضعيفٍ لمتنٍ لم يثبت سنده، فهو أخفُّ جُرماً ممن سرق حديثاً لم يصحَّ متنه، وركَّب له إسناداً صحيحاً، فإن هذا نوعٌ من الوضع والافتراء. فإن كان ذلك في متون الحلال والحرام، فهو أعظمُ إثماً، وقد تبوَّأَ بيتاً في جهنم!، وأمَّا سرقةُ السَّماع وادّعاءُ ما لم يَسمع من الكتب والأجزاء، فهذا كذبٌ مجرَّد، ليس مِن الكذب على الرسول ﷺ، بل مِن الكذب على الشيوخ. ولن يفلح من تعاناه، وقلَّ من ستر الله عليه منهم! فمنهم من يفتضح في حياته، ومنهم من يفتضح بعد وفاته. فنسألُ الله السَّتر والعفو"[١].

وسارق الحديث مجروح العدالة مردود الرواية كالوضّاع، وإنْ كان أقلّ درجةً منه، قال الخطيب البغدادي: "قال الحسين بن إدريس، قال: سألت عثمان بن أبي شيبة عن أبي هشام الرفاعي؟ فقال: إنه يسرق حديث غيره فيرويه، قلت: أعلى وجه التدليس؟ أو على وجه الكذب؟ فقال: كيف يكون تدليساً وهو يقول: حدثنا!"[٢].

وينبغي العلم أن متابعة السارق؛ لا تدفع عنه تهمة السرقة، بل تؤكد التهمة عليه، وأنه إنما أخذ حديث غيره، فرواه؛ مدعياً سماعه. وهذا؛ والأصل في السارق أنه متهم؛ لادعائه سماع ما لم يسمع، لكن قد يقع من بعض الثقات وبعض أهل الصدق ممن لا يُتهمون. ما صورته كصورة السرقة، لا عن قصد؛ بل عن خطأ، أو عن تساهل في استعمال ألفاظ الأداء في غير معناها الاصطلاحي. فمثل هذه الروايات تعامل مثل السرقة، من حيث عدم الاعتداد بها في باب الاعتبار ودفع التفرد، غير أنه لا يتهم في صدقه من وقع في مثل ذلك من أهل الصدق، بل يحمل ذلك على الخطأ أو التساهل[٣].

قال الباحثان: هذا بعض ما قيل في سرقة الأحاديث، أمّا سرقة الكتب فهي أصعب وأخطر، فهذا الحافظ الذهبي في ترجمته للحافظ محمد بن حُمَيْد، أبي عبد الله

[١] "الموقظة في علم مصطلح الحديث" للذهبي، ص٦٠.

[٢] "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ٥٩٥/٤.

[٣] "الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات" للدكتور طارق بن عوض الله، ص٤٣٤.

الرازي، قال: "قال أبو أحمد العسال[١]: سمعت فَضْلَكَ[٢] يقول: دخلت على ابن حُمَيْد، وهو يركب الأسانيد على المتون. قلت – أي الذهبي –: آفته هذا الفعل، وإلا فما أعتقد فيه أنه يضع متناً. وهذا معنى قولهم: فلان سرق الحديث"[٣]. قال السخاوي معلقاً على كلام الذهبي: "أو يكون الحديثُ عرف براوٍ، فيضيفه لراوٍ غيره ممن شاركه في طبقته، قال: وليس كذلك من يسرق الأجزاء والكتب ؛ فإنها أنحس بكثير من سرقة الرُّواة"[٤].

وقد عُرف بعض الورّاقين بسرقة الأحاديث والكتب، ومن النماذج على ذلك ما قاله العقيلي: "حدثنا سليمان بن داود القطان بالري، قال: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، يقول: قدمت الكوفة حاجاً فأودعت يحيى بن عبد الحميد الحِمّانيّ[٥] كتباً لي، وخرجت إلى مكة، فلما رجعت من الحج أتيته فطلبتها، فجحدني، وأنكر فوقفت به فلم ينفع ذلك، فصايحته واجتمع الناس علينا، فقام إليَّ وراقه، فأخذ بيدي فنحاني، وقال لي: إن أمسكت تخلصت لك الكتب، فأمسكت فإذا الورّاق قد جاءني بالكتب، وكانت مشدودة في خرقة ولبد، فإذا الشد متغير، فنظرت في الأجزاء فإذا فيها علامات بالحمرة، ولم يكن نظر فيها أحد، وإذا أكثر العلامات على حديث مروان الطَّاطَرِيُّ[٦]، عن سليمان بن بلال[٧]، وعبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِي[٨]، فافتقدت منها جزئين"[٩].

---

[١] محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله، أبو أحمد العسال الأصبهاني، توفي سنة ٣٤٩هـ. "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ٨٩/٢.

[٢] الفضل بن العباس المعروف بفضلك الصائغ الرّازي، روى عن: هدبة بن خالد وأبي الربيع الزهراني، وأحمد بن عبدة وقتيبة بن سعيد، وغيرهم. يُنظر: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي، ٦٦/٧.

[٣] "سير أعلام النبلاء" للذهبي، ٥٠٤/١١.

[٤] "فتح المغيث" للسخاوي، ١٢٥/٢.

[٥] يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن بَشْمين الحِمّاني الكوفي، حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث، مات سنة ٢٢٨هـ. "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٥٩٣.

[٦] مروان بن محمد بن حسان الأسدي الدمشقي الطَّاطَّري، ثقة، مات سنة ٢١٠هـ، وله ٦٣ سنة. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٥٢٦.

[٧] سليمان بن بلال التيمي، مولاهم، أبو محمد، وأبو أيوب المدني، مات سنة ١٧٧هـ. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٢٥٠.

[٨] عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي، أبو محمد الجهني، مولاهم المدني، صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ، قال النسائي: "حديثه عن عبيد الله العمري منكر". مات سنة ١٨٦هـ أو ١٨٧هـ. يُنظر: "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٣٥٨.

[٩] "الضعفاء الكبير" للعقيلي، ٤١٤/٤.

قال الباحثان: هذه السرقة من الحِمّانيّ لا من وراقه، مع الإشارة إلى أن الحِمّاني كان مستملي شريك بن عبد الله، يشهد لذلك ما نقله ابن حجر من قول ابن نُمَيْر: "ولو شاء يحيى الحِمّاني أن يكذب لقال: حدثنا شريك فإنه قد سمع منه الكثير وكان مستملي شريك"[١].

ونموذج آخر: قال الذهبي في مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن أحمد، أبي عبد الله الأصبهانيُّ الصَّفَّار (ت٣٣٩هـ): "كان وراقه أبو العباس المصريّ[٢] خانه، واختزل عيون كُتُبه، وأكثر من خمسمئة جزء من أصوله، فكان يجامله أبو عبد الله جاهداً في استرجاعها منه، فلم ينجع فيه، فذهبَ علمه بدعاء الشيخ عليه"[٣].

ونموذج آخر: قال سبط ابن العجمي: "محمد بن علي القاضي بن ودعان أبو نصر الموصلي صاحب تلك الودعانية[٤] الموضوعة، ذمَّه أبو طاهر السلفي وأدركه وسمع منه وقال: هالك مُتَّهم بالكذب"[٥]، قال الذهبي[٦]: "قال السلفي – أبو طاهر–: تبين لي حين تصفحت الأربعين له تخليط عظيم يدل على كذبه وتركيبه الأسانيد، وقال ابن ناصر[٧]: رأيته و لم أسمع منه؛ لأنَّه كان متهماً بالكذب، وكتابه الأربعين سرقه من عمه أبي الفتح، يعني أحمدَ بن

[١] يُنظر: "تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ٢٤٩/١١.

[٢] أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح، أبو العباس بن النحاس الربعي المصري الحافظ. "تاريخ دمشق" لابن عساكر، ٤٣٤/٥.

[٣] "سير أعلام النبلاء" للذهبي، ٤٣٨/١٥.

[٤] قال ابن حجر: "وسئل المزي عن الأربعين الودعانية فأجاب بما ملخصه: لا يصح منها على هذا النسق بهذه الأسانيد شيء؛ وإنما يصح منها ألفاظ يسيرة بأسانيد معروفة يحتاج في تتبعها إلى فراغ، وهي مع ذلك مسروقة سرقها بن ودعان من زيد بن رفاعة، ويقال: زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة الهاشمي، وهو الذي وضع رسائل أحوال الضعفاء في ما يقال، وكان جاهلاً بالحديث وسرقها منه بن ودعان فركب بها أسانيد فتارة يروي عن رجل عن شيخ بن رفاعة وتارةً يدخل اثنين وعامتهم مجهولون ومنهم من يشك في وجوده والحاصل أنها فضيحة مفتعلة وكذبة مؤتفكة، وإن كان الكلام يقع فيها حسنًا ومواعظ بليغة وليس لأحد أن ينسب كل مستحسن إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن كل ما قاله الرسول ﷺ حسن وليس كل حسن قاله الرسول ﷺ والله الموفق. "لسان الميزان" لابن حجر، ٣٠٦/٥.

[٥] يُنظر: "تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة" لابن عراق الكناني، ١١١/١، "المغني في الضعفاء" للذهبي، ٦١٨/٢، "ميزان الاعتدال" للذهبي، ٦٥٧/٣.

[٦] "ميزان الاعتدال" للذهبي، ٦٥٨/٣.

[٧] محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقيّ الشافعيّ، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين: حافظ للحديث، مؤرخ. أصله من حماة، توفي سنة ٨٤٢هـ. يُنظر: "الأعلام" للزركلي ٢٣٧/٦.

عبيد الله بن صالح بن سليمان بن وداعان. وقيل: سرقه من زيد بن رِفاعة[١] وحذف منه الخطبة، وركب على كل حديث منه رجلاً أو رجلين إلى شيخ ابن رفاعة، وابن رفاعة وضعها أيضاً، ولفق كلمات من رقائق الحكماء، من قول لقمان[٢] وطول الأحاديث"[٣].

المبحث الثامن: كتمان العلم عن بعض طلابه:

إنّ كتمان العلم الشّرعي عن طلابه آفة خطيرة، فالواجب الشرعي على الذي يعلم تعليم من لا يعلم من مريدي العلم.

وقد حذر الله ﷻ من كتمان العلم، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٥٩-١٦٠]. وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سُئِلَ عَنْ عِلْم، فكَتَمَهُ أُلْجِمَهُ الله بِلِجامٍ من نارٍ يومَ القيامة»[٤].

ولكن هناك مصالح يُكتم من أجلها العلم، ولا حرج من كتمانه مراعاة لهذه المصالح، مثل: التحديث لطلاب علم فوق طاقاتهم وعقولهم؛ فقد قال عَلِيٌّ ﷺ: "حَدِّثُوا النَّاسَ، بما يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أن يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟"[٥].

ومنها: كتم العلم خوفاً من وقوع الفتنة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: "حَفِظْتُ من رسول اللَّهِ ﷺ وعائين، فأمّا أحدُهما فبَثَثْتُه، وأمّا الآخَرُ فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هذا البُلْعُومُ"[٦].

---

[١] زيد بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي، حدّث ببلاد الجبال، وخراسان، عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، وأبي بكر بن الأَنْبارِيّ، كتب الأدب. وروى أيضًا عن أبيه عن أبي كامل الجحدري، وغيره وكان كذابًا. توفي سنة ٣٨١-٣٩٠هـ. يُنظر: "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ٤٥٩/٩، "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٦٧٥/٨.

[٢] لقمان الحكيم: وكان لقمان عبدًا حبشيًّا لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالًا. وكان في زمن داود النبيّ ﷺ، واسم أبيه: ثاران، ولم يكن نبيًا، في قول أكثر الناس. وروى يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن سعيد بن المسيّب، أنّه قال: كان لقمان النبيّ خيّاطًا. "المعارف" لابن قتيبة الدينوري، ٥٥/١.

[٣] "الكشف الحثيث" لسبط ابن العجمي، ص٢٤٢.

[٤] سنن أبي داود، أول كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، ٥٠٠/٥. قال شعيب: "إسناده صحيح".

[٥] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، ٣٧/١، برقم ١٢٧.

[٦] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: حفظ العلم ٣٥/١، برقم ١٢٠.

ومنها: وضع العلم عند أهله؛ فعن كثير بن مُرَّةَ، قال: "لا تحدث الباطل الحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء فيكذِّبوك، ولا تمنع العلم أهله، فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل. إن عليك في علمك حقّاً"[١]. وغير ذلك من المصالح.

وقد كتم بعض الورّاقين العلم عن بعض طلابه؛ ومنهم من كتمه مراعاةً للمصلحة، وهذا محمود، مثال مساور الورّاق[٢] الذي كان يقول: "إنما تطيب المجالس بخفة الجلساء"[٣]. وهذا مراعاة لمصلحة.

ومنهم من كتم العلمَ من غير مراعاة للمصلحة، مثل: علي بن محمد بن أحمد أبي الحسن الثقفي الورّاق الذي يُعرَف بابن لؤلؤ. قال الخطيب البغدادي: "سمعت البَرْقاني يقول: ابن لؤلؤ قديمُ السَّماع، سماعه سنة ثلاث وتسعين ومئتين، وكان إلى أن مات يأخذ العوض على الحديث دانقين. يعني البرقاني: أن نفسه كانت تسمو إلى أخذ الشيء الحقير والنَّزر اليسير على التحديث[٤]، وكان له حالة حسنه من الدنيا، وهو صدوق غير أنه رديء الكتاب. يعني: سيء النقل"[٥].

وينقل الخطيب البغدادي قصةً تؤكِّد كتم ابن لؤلؤ للعلم من غير مصلحة، قال: سمعت التَّنوخي – يعني: علي بن المحسن، أبو القاسم التَّنوخي– يقول: حضرت عند أبي الحسن بن لؤلؤ[٦] مع أبي الحسين[٧] البيضاوي الورّاق؛ ليقرأ لنا عليه حديث إبراهيم بن هاشم[٨]، وكان قد ذكر له عدد من يحضر السماع، ودفعنا إليه دراهم كنا قد وافقناه عليها،

---

[١] سنن الدارمي، باب: التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ٣٨٠/١، برقم ٣٩٠. قال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح".

[٢] هو: مُسَاوِرٌ الورّاق الكوفي الشاعر، اسم أبيه: سوار بن عبد الحميد؛ قاله أسلم الواسطي، صدوق. "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني، ص٥٢٧

[٣] "تهذيب الكمال" للمزي، ٤٢٦/٢٧.

[٤] هذا كلام الخطيب البغدادي.

[٥] "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ٥٦٧/١٣.

[٦] هو: علي بن محمد بن أحمد بن نصير بن عرفة بن لؤلؤ البغدادي الورّاق، أبو الحسن. الإمام المُحدِّث المسنِد، توفي ٣٧٧هـ. يُنظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي، ٣٢٧/١٦.

[٧] علي بن إبراهيم بن الهيثم، أَبُو الحسين البيضاوي الورّاق سكن بَغْدَاد، وحدّث بها، ثقة مأمون، حدّث بشيء يسير، توفي سنة ٣٩٧هـ. يُنظر: "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ٢٥٢/١٣.

[٨] إبراهيم بن هاشم بن الحسين بن هاشم، أبو إسحاق البيع المعروف بالبغوي، توفي سنة ٢٩٧هـ. يُنظر: "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ١٥٩/٧.

فرأى في جملتنا واحداً زائداً على الذي ذكر له، فأمر بإخراجه، فجلس الرجل في الدهليز، وجعل البيضاوي، يقرأ، ويرفع صوته، ليسمع الرجل، فقال له ابن لؤلؤ: يا أبا الحسين! أتعاطى علي، وأنا بغدادي، باب طاقي[١]، ورّاق، صاحب حديث، شيعي، أزرق، كوسج[٢]!.

ثم أمر جاريته بأن تجلس وتدق في الهاون[٣] أشناناً[٤] حتى لا يصل صوت البيضاوي بالقراءة إلى الرجل، أو كما قال. قال البرقاني: لم يكن ابن لؤلؤ يعرف الحديث، وصَحَّف اسم عُيَيّ، أراد أن يقول: عن عُيَيّ عن أبي، قال: عن عن عن أبي"[٥].

ومنهم من كتم العلمَ ليستغل أموال الناس، وهذا كتم غير جائز أيضاً، مثال ذلك ما ينقله ابن عساكر بسنده إلى أبي عبد الله الحافظ[٦] أنَّه قال: "سمعت الصفار – يعني محمد بن عبد الله الأصبهاني[٧]– يدعو في مسجده وهو رافع باطن كفيه إلى السماء، وهو يقول: يا رب! إنك تعلم أن أبا العباس المصري[٨] ظلمني وخانني وحبس عني أكثر من خمسمئة جزء من أصولي، اللهم فلا تنفعه بتلك وبسائر ما جمعه من الحديث، ولا تبارك له فيه. وكان أبو عبد الله مجاب الدعوة، وكان السبب في موجدته على أبي العباس المصري ورّاقه أنَّه قال له: اذهب إلى أبي العباس الأصم[٩] وقل له: قد حضرت معك ومع أبيك قراءة كتاب الجامع

---

[١] باب طاقي: أي غالٍ في التشيع، قال الخطيب: "سألت البرقاني، عن ابن بمته، فقال: لا بأس به إلا أنه كان يذكر أن في مذهبه شيئًا، ويقولون: هو باب طاقي. قلت للبرقاني: تعني بذلك أنّه شيعي؟، فقال: نعم". تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، ٥٥/٤.

[٢] ويقولون: رجل كُوْسَج. والصواب كَوْسَج، بفتح الكاف والسين. "تصحيح التّصحيف وتحرير التّحريف" لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ص٤٤٦. والكوسج: الذي لم تنبت لحيته، وهو معرَّب. "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم" لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، ٥٨٣١/٩.

[٣] الْهَاوَنُ: بفتح الواو الذي يُدَقُّ فيه مُعَرَّب وعاءٌ من نحاس ونحوه. "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص٣٢٩.

[٤] شنن: الشَّنُّ والشَّنَّةُ: الخَلَقُ من كل آنية صنعت من جلد وجمعها شِنَانٌ. وحكى اللحياني: قربة أشنان، كأنهم جعلوا كل جزء منها شَنًّا ثم جمعوا على هذا، قال: ولم أسمع أشنانًا في جمع شنٍّ إلا هنا." لسان العرب" لابن منظور، ٢٤١/١٣.

[٥] "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، ٥٦٦/١٣.

[٦] محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضَّبِّيّ الطَّهْمانيّ النَّيْسابوريّ الحافظ، أبو عَبْد الله الحاكم المعروف بابن البَيع، صاحب التّصانيف في علوم الحديث. توفي سنة ٤٠٥هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٨٩/٩.

[٧] محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو عبد الله الأصبهاني الصَّفّار. توفي سنة ٣٣٩هـ. "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٧٢٩/٧.

[٨] أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح أبو العباس بن النحاس الربعي المصري الحافظ، توفي سنة ٣٧٦هـ. يُنظر: "تاريخ دمشق" لابن عساكر ، ٤٣٤/٥.

[٩] محمد بن يعقوب بن يوسف، أبو العباس الأموي النَّيْسابوريّ الأصمّ. وكان يكره أن يقال له الأصم. توفي سنة ٣٤٦هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٨٤١/٧.

للثوري – سفيان – مجلس أَسِيد بن عاصم[١]، وقد ذهب كتابي فإن كان لي في كتابك سماع بخطي فأخرجه إليّ حتى أنسخه، فذهب فقال أبو العباس – الأصم – السمع والطاعة، وأخرج الكتاب في أربعة أجزاء بخط يعقوب[٢] وسماع أبي عبد الله – الصفار – فيه بخطه، فدفعه إلى أبي العباس فأخذه ووضعه في بيته، ثم جاء إلى أبي عبد الله – الصفار– فقال: إن الأصم رجل طماع، قد أخرج سماعك بخطك في كتابه ولم يدفعه إليَّ قال: لم قال: يقول إني لا أدفع هذا السماع إليه حتى يحمل إليّ خمسة دنانير، وكان أبو عبد الله – الصفار – قد تراجع أمره، ونقصت تجارته، فبلغني أنه باع شيئاً من منْزله، فدفع إلى العباس خمسة دنانير فأخذها، وحمل الكتاب إليه، ثم أنهما جميعاً دعيا على أبي العباس"، فاستجيبت دعوتهما فيه"[٣].

فالمتأمل في هذه الحكاية يجد نفسه مندهشاً من تصرف هذا الورّاق عندما جحد أصول شيخه ولم يردها إلا بمقابل أموال معلومة، وهذا يعني أن كتم العلم له عدة وسائل وطرق، وكلها تؤدي إلى نفس النتيجة وهي حرمان الناس العلم.

الخاتمة:

لقد توصَّلنا من خلال إعدادنا لهذا البحث، إلى نتائج وتوصيات.

أولاً: النتائج:

من أهمها:

١) إنَّ التعريف الاصطلاحي للورّاقة والورّاق أشمل وأوسع من التعريف اللغوي.

٢) إنّ الورّاقين على أصناف أشهرها: النُّساخ، وتخصصات، أهمها وراقة الحديث النَّبوي.

٣) الورّاقون لهم أثرٌ إيجابيٌّ في الحديث النبوي، من ذلك: التوريق والإملاء، الحفظ والضبط، النسخ والنشر، المقابلة والمعارضة، الاستدراك والتصحيح، ونحو ذلك.

---

[١] أَسِيد بْن عاصم بن عبد الله الثَّقفيّ مولاهم، الإصبهانيّ، أبو الحسين، أخو محمد بن عاصم. ولهما أخوان؛ عليّ والنُّعمان، لم يشتهرا. سَمِعَ أَسِيد الكثير، وصنَّف المُسنَد، ورحل، توفي سنة ٢٦١-٢٧٠هـ. يُنظر: "تاريخ الإسلام" للذهبي، ٣٠١/٦.

[٢] يعقوب بن يوسف- يسوف- بن معقل بن سنان، أبو الفضل الأموي مولاهم، النَّيْسَابُورِيّ الورّاق، والد أبي العباس محمّد بن يعقوب الأصم، وكان من أسرع الناس خطًا، نسخ الكثير بالأجرة، توفي سنة ٢٧٧هـ. يُنظر: "تاريخ نيسابور" لابن البيع النيسابوري، ص٦٠، "تاريخ دمشق" لابن عساكر، ١٨٠/٧٤.

[٣] يُنظر: "تاريخ دمشق" لابن عساكر، ٤٣٧/٥.

٤) الورّاقون لهم أثرٌ سلبيٌّ على الحديث أحياناً، يتمثل في أمور عدَّة، هي: التَّصحيف والتَّحريف، التخليط والبعد عن الضبط، الإدخال على الشيوخ وإفساد أحاديثهم، التحديث عن الضعفاء ورواية المناكير، الخطأ والوهم في الأحاديث، الكذب والوضع في الحديث، سرقة الأحاديث والكتب، كتمان العلم عن بعض طلابه.

ثانياً: التوصيات:

١) نوصي بضرورة تتبع التراث العلمي المنقول عن الورّاقين ونقده.

٢) نوصي بالعناية بالدراسات المتعلقة بالرُّواة الورّاقين ومروياتهم؛ مثال: أحاديث الورّاقين – جمع وتخريج ودراسة –، أو أقوال الورّاقين في الرُّواة والأحاديث، أو تناول أحد الآثار الإيجابية أو السلبية للورّاقين بتوسع وتفصيل، وغير ذلك من المواضيع المهمة.

بعض مراجع البحث:

١) **أدب الاملاء والاستملاء**، لأبي سعد، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٠١ه.

٢) **تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام**»، للذهبيّ، محمّد بن أحمد، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ٢٠٠٣م.

٣) **التاريخ الكبير**، للبُخاريّ، محمّد بن إسماعيل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٤) **تاريخ بغداد وذيوله**، التاريخ للخطيب البغدادي، أحمد بن علي، وذيله، لابن النجار، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٧هـ.

٥) **تاريخ دمشق**، لابن عساكر، علي بن الحسن، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦) **تدريب الرَّاوي في شرح تقريب النَّواوِي**، للسُّيوطي، عبدالرَّحمن بن أبي بكر، تحقيق: طارق عوض الله محمّد، دار العاصمة، الرّياض، الأولى، ١٤٢٤هـ.

٧) **تصحيفات المحدثين**، لأبي أحمد، الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة – القاهرة، الأولى، ١٤٠٢هـ.

٨) **تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن علي، تحقيق: محمَّد عوامة، دار الرَّشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٩) **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**، ابن عراق، علي بن محمد، تحقيق: عبد اللطيف وعبد الله محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

١٠) **تهذيب التهذيب**، لابن حجر، أحمد بن عليّ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الأولى، ١٣٢٦هـ.

١١) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للمزّي، يوسف بن الزكي عبدالرَّحمن، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرّسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٢) **تهذيب اللغة**، للهروي، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ٢٠٠١م.

١٣) **الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع**، للخطيب البغداديّ، أحمد بن عليّ، تحقيق: الدكتور محمود الطحّان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٤) **الجرحُ والتَّعديل**، لابن أبي حاتم، عبدالرَّحمن بن محمّد ٣٢٧هـ، تحقيق: عبدالرَّحمن المُعلّمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٢٧١هـ.

١٥) **سؤالاتُ ابنِ الجُنَيد ليحيى بن معين**، لإبراهيم بن عبدالله بن الجُنَيد، تحقيق: أحمد محمّد نور سيف، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦) **سؤالات البَرْقانيّ للدَّارقطنيّ**، علي بن عمر، تحقيق: عبدالرَّحيم القشقريّ، النَّاشر: كتب خانه جميلي، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٧) **سِيَر أعلام النُّبلاء**، للذَّهبيّ، محمّد بن أحمد، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

١٨) **شرح التبصرة والتذكرة**، لزين العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، تحقيق: عبداللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٩) **الضُّعفاء الكبير**، للعقيلي، محمد بن عمرو، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٠) **العلل ومعرفة الرِّجال**، لأحمد بن حنبل، رواية المروذي وغيره، تحقيق: صبحي السامرائي، مكتبة المعارف– الرياض، السعودية، الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢١) **علوم الحديث**، لابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشَهرزوري، تحقيق وشرح: د. نور الدين عتر، دمشق– سوريا، دار الفكر، ١٩٨٦م.

٢٢) **العين**، لأبي عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٣) **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، للسخاويّ، محمَّد بن عبدالرَّحمن، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٤) **الكامل في ضُعفاء الرِّجال**، لابن عَدِي، تحقيق: سهيل زكّار، يحيى غزَّاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٢٥) **كتاب الضَّعفاء والمتروكين**، لابن الجوزيّ، عبدالرَّحمن بن عليّ، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٦) **كتاب المجروحين من المحدِّثين والضُّعفاء والمتروكين**، لابن حبّان، محمّد بن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

٢٧) **الكِفايةُ في عِلْم الرِّواية**، للخطيب البغداديّ، أحمد بن علي، تحقيق: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٢٨) **المُحدِّث الفاصل بين الرَّاوي والواعي**، للرَّامهُرمُزِيّ، الحسن بن عبدالرَّحمن، تحقيق: د. محمّد عجّاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٩) **المغني في الضَّعفاء**، للذَّهبي، محمّد بن أحمد، تحقيق: نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث- قطر.

٣٠) **علل الحديث**، لابن أبي حاتم، عبدالرَّحمن بن محمّد، تحقيق: فريق من الباحثين، بإشراف: سعد الحُمَيِّد وخالد الجُرَيسي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣١) **مقدمة ابن خلدون**، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مطبعة الشرقية، القاهرة، ١٣٢٧هـ.

٣٢) **الموضوعات**، لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٦ هـ.

٣٣) **الموقظة في علم مصطلح الحديث**، للذهبي، محمد بن أحمد، اعتنى به: عبدالفتاح أبو غُدّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٣٤) **ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال**، للذَّهبيّ، محمّد بن أحمد، تحقيق: علي محمّد البجاويّ، دار المعرفة، بيروت.

٣٥) **النُّكت على كتاب ابن الصَّلاح**، لابن حجر، أحمد بن علي، تحقيق: ربيع بن هادي المَدخليّ، مكتبة الفرقان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٣٦) **وراقو بغداد في العصر العباسي**، للدكتور: خيرالله سعيد، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ.